٤ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هل بقى الميسر فى الإسلام

كان لأهل الجاهلية كثير من العادات والنظم الشنيعة التى جاء الإسلام من بعد ونص على تحريمها ، ونهى عن مزاولتها ومن ذلك وأد البنات وما كان فيه من شناعة قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق . ومنها نكاح المقت ، وهو نكاح زوجة الأب . ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومن ذلك شن الحروب فيما بينهم للسلب والنهب ، ومنها الميسر ، والاستقسام بالأزلام ، وشرب الخمر ، وكثير غيرها من عادات الجاهلية

وقد قضى الإسلام على معظم هذه المفاسد قضاء مبرما ، فلم نسمع بأن شيئا منها حدث فى الإسلام إلا ما كان من شرب الخمر ، فإن غلبتها لضعاف النفوس من المسلمين كانت غلبة متصلة الحلقات ، لم يسلم عصر ولم يسلم بلد ممن كان يشرب الخمر ويحد فيها ، ويلقى جزاء الشارب

ولكنا لم نسمع ولم نقرأ أن قوما من المسلمين اجتمعوا لمزاولة الميسر الجاهلى على نحو ما كان يصنع العرب قديما ، فلم تكد تظهر شمس الإسلام على ذلك الباطل حتى أزهقته وقضت عليه قضاء ، ومحت معالمه ، حتى تعذر على بعض الرواة القريبى العهد بالجاهلية أن يعرف حقيقته أو يظهر على كنهه ، وحتى وجدنا إماما كبيرا من أئمة العربية — وهو الأصمعى — يخطئ فى ذلك خطأ ظاهرا ، كما أسلفنا القول فى المقال الأول

وحرم الإسلام القمار — وهو ضروب شبيهة بالميسر الجاهلى كما قدمنا — ولكن القمار ظل إلى عصرنا هذا يقترفه الآثمون فى صور شتى ، ولعل أفشى صوره وأظهرها اليوم هو (لعب

معينة تجعل لاستهلاك الفرد حدا لا مزيد عليه . ولكى تتفادى الدول الصناعية الكبرى وقوف عجلة الحياة الاقتصادية فإن عليها أن تشجع سياسة الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة للفرد وللمؤسسات المالية والصناعية — فهذا الاستثمار سيزيد من الدخل الفردى والدخل القومى ويشجع بالتالى على زيادة الاستهلاك ويوفر لعجلة الحياة الاقتصادية (الصناعية والزراعية) أن تتابع سيرها فى أمن وسلامة

وللاستثمار أوجه عديدة : منها استثمار محلى نافع وخصوصا فى الدول التى لها إمكانيات واسعة فى الموارد الطبيعية والصناعية كأمريكا مثلا ، واستثمار فى المشاريع المربحة فى البلدان الخارجية

(وجدير بالذكر أن الاقتصاد المنظم فى الدول الشيوعية والاشتراكية إلى حد ما ؛ يفرض على عجلة الاقتصاد خطوط السير ويحاول أن يقيد الإنتاج الصناعى والزراعى بحيث يتعادل الإنتاج مع مقدرة الناس على الاستهلاك والشراء . وهذا التقييد يكون عادة على حساب حرية النشاط الاقتصادى ويأتى عن طريق مركزية حكومية صارمة تضع للنشاط الاقتصادى برامج لخمس أو لعشر سنوات أو لأكثر من ذلك أو أقل)

ولما كان النظام الاقتصادى الحر فى الولايات المتحدة الأمريكية ينفر من المركزية الحكومية فى التقييد والتوجيه الصارم ؛ لذلك ولما كان شبح أزمة ١٩٢٩ الاقتصادية يتراءى للأمريكان من بعيد فى عالم ما بعد الحرب العالمية الأخيرة ، وجدت نظرية الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة أو الأموال الفائضة — التى جاء بها كينز — مكانا عزيزا فى تفكير الأمريكان حكومة وشعبا

وعلى ضوء هذه الحقائق يجدر بنا أن ننظر إلى « مشروع مارشال » وما استتبعه من خطوات أمريكية أخرى « كمشروع النقطة الرابعة » « ومشروع الضمان المتبادل » وبقية النواحى فى سياسة أمريكا الخارجية فى مجالها الاقتصادى والدبلوماسى والعسكرى — بما فيها الدفاع عن الشرق الأوسط

وقبل أن نستعرض ذلك دعنا نتعرف على أهمية العنصر الأيديولوجى على المبادئ والعقائد والأسس العاطفية التى تكمن وراء فكرة الدفاع المشترك التى يبشر بها الأمريكان

نيويورك للكلام بقية عمر حليق

الورق) الذى صار إنما دوليا يلتقى عليه المصرى والأوربى والآسيوى والأمريكى فى يسر ، وصارت قوانينه عرفاً عاما بين المتقامرين على شتى أجناسهم وبلدانهم

الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام فهو طلب القسم ، أى ما يقسم للانسان ويقدر . والأزلام : جمع زلم ، بضم ففتح ، أو بالتحريك ، وهو القدح ، بكسر القاف ، أو السهم من سهام الاستقسام

والأزلام ذكرت فى كتاب الله مرتين :

أولاهما قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق [1] »

والأخرى قوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه [2] »

وقد اختلف المفسرون فى هذه الأزلام ، هل هى أزلام الميسر وقداحه ، أم هى أزلام أخرى معينة ؟ والراجح المعتمد أن المراد بالأزلام فى الكتاب العزيز ضرب آخر من القداح يستعمل فى أغراض أخرى غير الميسر ، سنبسط القول فيما يلى . ويرجح ذلك :

١ — أنها ذكرت فى الآية الأولى بعد « النصب » فهناك علاقة بين هذه الأزلام وبين الأنصاب

٢ — وفى الآية الثانية ذكر الميسر ، ثم ذكرت الأنصاب ثم الأزلام ؛ ولو كانت الأزلام والاستقسام بها شيئا هو الميسر لما ذكرت فى الآية مرة ثانية ، أو لذكرت بعد الأزلام مباشرة على طريق الترادف أو نحوه

٣ — قال الأزهرى [3] : « وقد قال المؤرج وجماعة من أهل اللغة إن الأزلام قداح الميسر » . قال : « وهو وهم »

٤ — وقال الفخر الرازى [4] : « قال المؤرج وكثير من أهل اللغة : الاستقسام هنا هو الميسر المنهى عنه ، والأزلام قداح الميسر . والقول الأول اختيار الجمهور » . يعنى بذلك طلب معرفة الخير والشر بوساطة ضرب القداح

٥ — ومما يؤيد أن المراد بالأزلام فى القرآن غير أزلام الميسر ما روى أبو الدرداء [5] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة » . فالاستقسام فى هذا الحديث مقرون بالتكهن والتطير . وهذا يدل على أنها أزلام الاستخبار والاحتكام لا أزلام الميسر

٦ — وجاء فى اللسان [6] رواية عن الأزهرى : « ومعنى قوله عز وجل : وأن تستقسموا بالأزلام ، أى تطلبوا من جهة الأزلام ما قسم لكم . ومما يبين ذلك : أن الأزلام التى كانوا يستقسمون بها غير قداح الميسر ما روى عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى ، وهو ابن أخى سراقة بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول :

جاءتنا رسل كفار قريش يجعلون لنا فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما . قال : فبينا أنا جالس فى مجلس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم فقام على رءوسنا فقال : يا سراقة ، إنى رأيت آنفا أسودة بالساحل [7] لا أراها إلا محمدا وأصحابه . قال : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بغاة [8] . قال : ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت جاريتى أن تخرج لى فرسى رتحبسها من وراء أكمة ، ثم أخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخفضت عالية الرمح وخططت برمحى فى الأرض حتى أتيت فرسى فركبتها ورفعتها

(١) الآية ٣ من سورة المائدة
(٢) الآية ٩٠ من سورة المائدة
(٣) اللسان (قسم)
(٤) تفسيره (٣ : ٣٥٧)
(٥) الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)
(٦) مادة (قسم) .
(٧) أسودة : جمع سواد الشخص
(٨) يريد بذلك أن يصرفه عما هو بسبيله

تقرب بى (٩) حتى رأيت أسودتهما ، فلما دنوت منهم حيث أسمعهم الصوت عثرت بى فرسى ، نخررت عنها وأوهيت بيدى إلى كنانتى فأخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها : أضيرهم أم لا ؟ نخرج الذى أكره : أن لا أضيرهم . فعصيت الأزلام وركبت فرسى فرفعتها تقرب بى حتى إذا دنوت منهم عثرت بى فرسى وخررت عنها . قال : ففعلت ذلك ثلاث مرات إلى أن ساخت يدا فرسى فى الأرض »

قال الأزهرى : « فهذا الحديث يبين لك أن الأزلام قداح الأمر والنهى ، لا قداح الميسر »

الأزلام فى الشعر العربى

١ — وقد نطق الشعر الجاهلى بأزلام الاستقسام ، إذ يقول طرفة (١٠) :

ففعلنا ذلكم زمنا ثم دانى بيننا حكمه
أخذ الأزلام مقتسما فأتى أغواها زلمه
عند أنصاب لها زفر فى صعيد جمة أدمه

دانى ، أى قارب . ويعنى بالحكم النلاق بن شهاب السعدى ، أنفذه النعمان الأكبر ليصلح بين بكر وتغلب فأصلح بينهم محتكما فى ذلك إلى الأزلام . والزفر من العطايا : الكثيرة (١١) . يعنى بها ما يهدى إلى الأنصاب من قرابين . وعنى بالأدم جلود ما ينحر عندها من الإبل ونحوها

٢ — ونطق الشعر الإسلامى بذلك الاستقسام . قال الحطيئة (١٢) يمدح أبا موسى الأشعرى :

لم يزجر الطير أن مرت بسنحا ولا يفيض على قسم بأزلام

يريد أنه لا يتطير من السانح والبارح ، ولكنه يمضى متوكلا على الله عز وجل ، ولا يستقسم بالأزلام كما كانت تفعل الجاهلية

وقال آخر (١٣) :

هم المجيرون والمنبوط جارهم فى الجاهلية إذ يستأمر الزلم

٣ — ونلمح فى الشعر العباسى أيضا وميضا من الإشارة إلى الأزلام أو قداح الاستقسام فيما رواه أبو الفرج (١٤) من القصة التالية ، عن محمد وهيب الشاعر قال :

لما ولى الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على وأبا سعد المخزومى وأبا تمام الطائى فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى يلقى بها الملوك نخرجت إلى الجبل ، فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى :

أجارتنا إن التعفف باليأس وصبرا على استدرار دنيا بإبساس
حريان ألا يقذيا بمذلة كريما وألا يحوجاه إلى الناس
أجارتنا إن (القداح) كواذب
وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

فأمر حاجبه بإضافتى . فأقمت بحضرته كلما وصلت إليه لم أنصرف إلا بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرف الصيف ، فقال له : يا محمد ، إن الشتاء عندنا علج فأعد يوما للوداع فأنشدنى الثلاثة الأبيات ، فقد فهمت الشعر كله . فلما أنشدته :

أجارتنا إن (القداح) كواذب
وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

قال صدقت فلم يزل يستعيدنى هذا البيت وأنا أعيده عليه ، ثم قال عدوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا ، فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارون

(٩) التقريب : ضرب من العدو والجرى
(١٠) ديوان طرافة ١٨ طبع قازان
(١١) القاموس (زفر)
(١٢) اللسان (زلم) والبيت ساقط من ديوان الحطيئة ولكن شرحه مثبت فيه . وقال السكرى شارحه : «ويروى : «ولايفاض لدقسم بأزلام» والأول أجود »
(١٣) الميسر والقداح ٤٠
(١٤) الأغانى ١٧ : ١٤٢